

## كتاب الشهر

### السلسلة الحوارية كتاب يوثق مسيرته "مهيار الدمشقي" أدونيس: إنهمضوا من كبوتكم أيها العرب!

السلسلة التلفزيونية للشاعر والكاتب السوري الكبير ادونيس على قناة "الميادين" صدرت اخيرا تحت العنوان نفسه: "ادونيس... هذا هو اسمي". كتاب سلس يختصر سيرة ابرز مؤسسي الحداثة في بيروت الخمسينات، ويروي رحلته المتشعبة والاشكالية في رحاب الشعر والفكر والتراث

"ادونيس... هذا هو اسمي" هو في صميم خيارنا كقيمة انسانية وفكرية وجدلية، عربيا وعالميا (...). انها المساحة للمعرفة ولفهم السياقات التاريخية في الثقافة العربية. انها الاسئلة الضرورية في فضاءات العالم العربي التي طغت عليها الفتن والجمود الفكري والتجهيل. يكاد هذا المشهد الدموي الغزير يكون غير مسبوق في تاريخنا العربي، او بالاحرى ليس بهذه الوحشية والتخلف والعنف، يقابله انقسام عمودي عبر عن مكتنزاته بخطاب سياسي عنصري وتحريضي، طائفي ومذهبي، بات شريكا في سفك الدماء وهتك الانسان العربي وقيمه الانسانية".

بهذه المقدمة وضعت قناة "الميادين" سلسلتها الحوارية مع الشاعر والكاتب السوري الكبير ادونيس (1930) في الراهن السياسي والاجتماعي والفكري الذي تعيشه المجتمعات العربية، الممزقة بالجهل والفتن والتخلف الحضاري، والصراعات الدموية، وزمن الذبح على الهوية الدينية والعرقية.

السلسلة الحوارية "ادونيس... هذا هو اسمي" التي بثتها "الميادين" على حلقات قبل اشهر، واعدتها وقدمها الصحافي بيار ابي صعب، استضافت الشاعر والكاتب الاشكالي في مراجعة لافكاره وطروحاته الفكرية، ولاستعادة مسيرة شخصية لا تقل اثاره عن مسيرته المهنية المتوجة بالريادة، بدءا من مجلة "شعر"

الطليعية (كان ادونيس احد مؤسسيها مع الشاعر الراحل يوسف الخال)، وصولا الى حفره عميقا في التراث والشعر العربيين، وطروحاته الجدلية في خصوص النص الديني والمجتمع والحداثة، ومواقفه السياسية التي طالما اثارت جدلا وانقسامًا حادين لا يزعجان "مهيار" على

فصل الدين عن الدولة. لكن بدلا من ذلك، ها هو الدين استحال اداة سلطة عوض ان يكون "افقا للتأمل والتجارب الروحية، للتساؤلات عن الوجود والعالم والمصير، ولاكتشاف الاخر الذي يعيش معنا".

حين سألته ابي صعب اذا كانت المشكلة في الدين او في المؤسسة الدينية، اجابه انها ليست في النص الديني بقدر ما تكمن في عملية تأويل هذا النص وقراءته. سنكتشف خلال الحوار ان هذه "الليبرالية الدينية" عند ادونيس، تستمد جذورها من طفولته الاولى في كنف اب متسامح كان صديقا وناصحا لابنه اكثر منه ابا ذا سلطة عليه. اذ يستعيد ادونيس قريته قصابين وتأثيرها الكبير عليه، ف"الانسان هو الارض التي مستها خطواته للمرة الاولى". كان والده فلاحا، لكنه مستقل عن زعيم العشيرة او الزعيم المحلي، وكانت لديه اقتناعاته الخاصة في ما يتعلق الدين. لا تنضوي مع الجماعة. الهم انه نقل اليه "لوثة" الشعر. عرفه الى كنوز الشعر العربي، وخصوصا الصوفية التي تقدم نظرة اخرى الى الوجود والمرأة التي تحتل مساحة اساسية فيها. هنا، يعلق ادونيس بان "من دون حرية المرأة، لا يوجد تطور ولا حداثة".

كلمة الحداثة ستدير دفة الحوار الى مغامرة تأسيس مجلة "شعر" التي صدر عددها الاول في بيروت في شتاء عام 1957، معلنة دخولنا عصر الشعر الحر. سنقرأ في الكتاب كيف نفذ ادونيس بريشه الى بيروت في عز العدوان الثلاثي عام 1956. حاملا وطأ الحدود اللبنانية اعلن النفي العام في سوريا واستدعي الاحتياط. لو تأخر قليلا لكان كتب له مصير آخر. المهم انه وطأ ارض "جمهوريةته الفاضلة" التي اصطفاهها بين المدن، معلنا فيها ولادته الثانية.

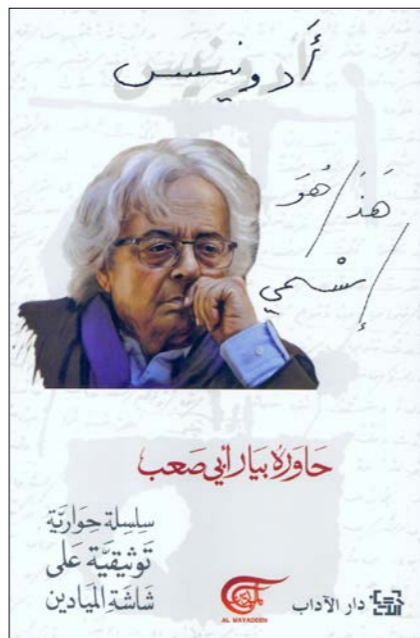
علاقة قوية تربطه بالعاصمة اللبنانية التي كان قد اعلن موتها قبل سنوات بسبب التغيرات الفظيعة التي اصابتها وقضت على دورها الطليعي بصفتها حاضنة للاختلاف والتنوع



الابداع والجرأة. اثار هذا التصريح يومها جدلا كبيرا في المشهد الثقافي، واشتعلت الحرب مجددا على ادونيس. الا ان ما قاله، كان بدافع العشق الذي يكنه لتلك المدينة "التي كانت شغلي الشاغل بالمعنى الرمزي، كأنها قصيدة اتصارع معها واعيد كتابتها باستمرار"، تلك المدينة القائمة "اساسا على التنوع والاختلاف والهوية التعددية"، الحاضنة لكل مختلف ولكل تجريب فكري وابداعي واكاديمي. في هذه البقعة الجغرافية، ولدت مغامرة مجلة "شعر" التي نشرت لرواد الشعر الحديث في العالم العربي، وضمت المؤسسين يوسف الخال وادونيس، ثم الراحل انسي الحاج، وشوقي ابي شقرا وكرت السبحة لاحقا. كانت هذه المجلة منبرا شعريا وثقافيا مغايرا، احتضنت الاصوات الطليعية كالعراقي بدر شاكر السياب، وترجمت قصائد الشعراء الفرنسيين الحداثيين، وحوربت كثيرا من خلال السلطة السياسية والثقافية.

ردا على سؤال ابي صعب عن الاخطاء التي ارتكبتها المجلة، اعترف ادونيس "انا اخطأنا حين تأثرنا بمعايير الحداثة الخارجية بشكل اكبر بكثير من تأثرنا بمعاييرها التي كان العرب يطرحونها ويناقشونها منذ القرن الثاني الهجري مع ابي نواس، وابن الرومي، واي تمام وبقية الشعراء". واعتبر ان قصائد الشعراء العرب القدامى عكست قيم الحداثة في المضمون، خصوصا وانها استندت الى تجربة جديدة قائمة على الحياة والممارسة الحية. استشهد هنا بابي نواس الذي كتب عن "البلد وحياته وعلاقاته الجديدة، وحرية العلاقات بين الافراد، رجالا ونساء، في العصر العباسي الاول". اوليست هذه القيم تشكل صلب الحداثة التي بشرت بها مجلة "شعر"؟ بل ان ادونيس اعتبر ان الحداثة "اسس لها الشعر العربي بدءا من القرن الثاني الهجري، اي القرن الثامن الميلادي، قبل بودلير ورامبو" اللذين يعتبران ابوي الحداثة الشعرية في فرنسا. ورأى ان خطيئة مجلة "شعر" انها قطعت مع التراث العربي بدل التعمق فيه وتقييمه ودرسه.

لكن ماذا بقي من مجلة "شعر" اليوم؟ سؤال يجيب عنه ادونيس بانها "اسست مشروعية التعبير بحرية وخلق الاشكال" بغض النظر عن الاوزان التقليدية. عدا ذلك، يعتبر صاحب



غلاف الكتاب.

هذا الكتاب ما زال يحتفظ براهنيته في زمن عودة السلفيات والتحجر. يعلق ادونيس بأن ما وصلنا من تاريخنا العربي هو التاريخ "الذي كتبه السلطة، اي الرجال الفقهاء الذين خدموا السلطة. كل العمل الثوري الذي قام به المسلمون مطموس". يرى ان كتابه "الثابت والمتحول" هو "محاولة بسيطة للإشارة الى هذا التاريخ المطموس، الذي هو التاريخ الحقيقي للعرب والحياة العربية، والتشكيك في هذا التاريخ المرتبط بالسلطة، والذي كان يسمى كل من ينتقدها كافرا او ملحدا او فاسقا او فاجرا". من التاريخ الى الراهن من جديد. ادونيس ليس متفائلا بما آلت اليه الحال العربية. اذ يعلن بكل اسف: "اذا قيس الشعب وقيس حضوره ومدى ابداعه التقنية والفلسفية، ومدى علاقاته او بعمق علاقاته بالآخر، او بمدى قدرته على المشاركة في بناء المستقبل، اذا قيس تقدم الشعوب بهذه المقاييس، فنحن لا مكان لنا، كعرب، في التاريخ الراهن".

يختتم: "يجب ان نعترف باننا شعوب في طريق الانقراض، كما انقرض السومريون، واليونان العظماء والبابليون والفرعنة والرومان وغيرهم. هناك حضارة تموت لان الذين يحملونها لم تعد لديهم طاقة على المشاركة الخلاقة، لا في بناء انفسهم، ولا في بناء العالم. بهذا المعنى، انا لست متيقنا من ان من نسيمهم "العرب" اليوم، لهم مستقبل يشارك في بناء البشرية".

اساس كل هذا الانحطاط بحسب ادونيس هو السلطة السياسية القائمة، والمؤسسة الدينية، والدين الذي يأخذ منحى سلطويا، ووضع المرأة، وعدم الفصل بين ما هو ديني وما هو سياسي وثقافي واجتماعي. لا ينسى ان ينوه هنا بأن ملاحظاته هذه تأتي مع احترامه "الكامل للمتدينين والاحترام الكامل للدين" بصفته تجربة شخصية، مثل الحب، لا تلزم احدا الا صاحبها.

رحلة متشعبة شيقة في رحاب الفكر والشعر والتاريخ والادب من خلال المسيرة الشخصية والثقافية والابداعية لادونيس. قلما يهم ان وافقنا على افكاره ام لم نوافق. المهم ان "مهيار الدمشقي" يحفز فينا التفكير والتأمل. لعل هذا اكثر ما يحتاج اليه عالمنا العربي اليوم.

### الحداثة العربية بدأت قبل الضرب مع ابي نواس وابن الرومي وابي تمام

"مفرد بصيغة الجمع" بأن مشروع الحداثة العربية - بالقيم التي يحملها - فشل بكل اسف، وليس الراهن العربي بكل دمويته وانحطاطه الثقافي ومحاصرته الفرد وحرية العيش والممارسة، وتسلط المؤسسة الدينية، سوى دليل على ذلك.

الحديث سيعيدنا الى كتاب ادونيس المرجعي "الثابت والمتحول" (اربعة اجزاء) الذي اثار حين صدوره في عام 1973 سجلا ادبيا وفكريا لم ينته حتى اليوم. في هذا المشروع المرجعي، درس ادونيس ارتباط الفكر والسياسة بالدين عند المسلمين الاوائل، وصدمة الحداثة، وسلطة الموروث الديني، والصراع بين العقل والنقل، والتجديد والتقليد، اضافة الى الانقلاب المعرفي الجذري المتمثل في الحركة الصوفية....